جمهورية مصر العربية **وزارة الأوقاف**	**٩ ذو القعدة ١٤٤٠هـ** **١٢ يوليو ٢٠١٩م**

(١)

الآداب والحقوق العامة للمجتمع وأثرها في رقيه وبناء حضارته

الحمد لله رب العالمينَ ، القائلِ في كتابه الكريم : {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله القائل : (أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي) ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعــد :

فلقد جاء الإسلام بمنهج متكامل ، ينظم علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته بالناس ، وعلاقته بالكون كله ، ولقد حفلت الشريعة الإسلامية بالعديد من النظم والآداب العامة التي تسهم في رقي المجتمع وتقدمه وازدهاره ، من هذه الآداب : أدب الاستئذان ، **لقد شرع الإسلام الاستئذان ، وجعله من الآداب الإسلامية التي تمنح الناس الخصوصية ، حيث يقول سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} ، وقد علّمنا النبي (صلى الله عليه وسلم) الاستئذان وآدابه ، من ذلك أن يبدأ المستأذن بالسلام ، ويذكر اسمه ، فقد اسْتَأْذَنَ رجل عَلَى النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) وَهُوَ في بيتٍ ، فَقَالَ : أألِج ؟ فَقَالَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لِخَادِمِهِ : (اخْرُجْ إِلَى هَذَا ، فَعَلِّمهُ الاسْتِئذَانَ ، فَقُلْ لَهُ : قُل : السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ، أأدْخُل؟) ، فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ ، أَأَدْخُل؟ فَأذِنَ لَهُ النَّبيُّ (صلى الله عليه وسلم) ، فدخلَ) ، وعن جابر (رضي الله عنه) ، قَالَ : أَتَيْتُ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) ، فَدَقَقْتُ البَابَ ، فَقَالَ : (مَنْ هَذَا؟) ، فَقُلتُ : أَنَا ، فَقَالَ : (أنَا ، أنَا !) ، كَأَنَّهُ كَرِهَهَا .**

ومن آداب الاستئذان غض البصر ، وعدم استقبال الباب ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ) ، وعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ (رضى الله عنه) أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْبَابَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا تَسْتَأْذِنْ وَأَنْتَ مُسْتَقْبِلُ الْبَابَ) ، وقد ورد أن النَّبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ إِذَا أَتَى بَابًا يُرِيدُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ لَمْ يَسْتَقْبِلْهُ ، جَاءَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَإِنْ أُذِنَ لَهُ وَإِلا انْصَرَفَ .

ومن الآداب العامة التي حث عليها الإسلام : **آداب الطرق والأماكن العامة** ، فقد جعل الإسلام للطريق حقًّا ينبغي أن تؤدى ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ في الطُّرُقَاتِ) ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ) ، قَالُوا : وَمَا حَقُّهُ ؟ قَالَ : (غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الأَذَى ، وَرَدُّ السَّلاَمِ ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) ، فينبغي لمن يستخدم الطريق أو المنشآت العامة عدم رفع الصوت ، أو التحدّث بصوت عالٍ مزعج ، وعدم الضحك بصوت مُخل ، وعدم إلقاء القاذورات في الطريق ، ووضعها في الأماكن المخصّصة لها ، بل يجب أن يرفع عنها الأذى ، كما ينبغي عدم تعطيل الطرقات ، وإيذاء المارة بالنظر أو التحرش اللفظي أو الفعلي.

ومن الآداب كذلك: **آداب النظافة** ، فلقد جعل الإسلام الطهارة والنظافة الكاملة للجسد والثوب والمكان جزءًا لا يتجزأ من شرائعه، بما يتناسب مع أهميتها كسلوك إنساني، وقيمة حضارية ؛ لذا حث الإسلام على مجموعة من الآداب التي

تجعل الإنسان في مظهر طيب ، لا ينفر الناس منه ، ولقد مدح الله (عز وجل) المؤمنين الحريصين على تنظيف أجسادهم ، وتنظيف ظواهرهم وبواطنهم ، فقال سبحانه: {إِنّ اللَّهَ يُحِبُّ التّوّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهّرِينَ} ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ طِيبٌ يُحِبُّ الطِّيبَ ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ...) ، وقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ...) ، وقد رأى (صلى الله عليه وسلم) رجُلاً شعِثًا – قد تفرَّقَ شَعرُهُ – فقال (صلى الله عليه وسلم) : (أما كان هذا يَجدُ ما يُسَكِّنُ به شَعْرَهُ؟) ، ورأى رجُلاً آخر عليه ثيابٌ غير نظيفة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (أَما كان هذا يجدُ ما يَغسِلُ به ثوبَهُ؟) .

كما حثَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على نظافة الأسنان وذلك حرصًا منه (صلى الله عليه وسلم) على طيب رائحة الفم ، وعدم إيذاء الإنسان لأخيه الإنسان بأي رائحة كريهة من شأنها أن تنفر الناس منه، يقول (صلى الله عليه وسلم): (لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي– أَوْ عَلَى النَّاسِ– لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ) .

ومن الآداب كذلك : **آداب الحوار** ، فالحوار من وسائل التعارف ، وتصحيح المفاهيم ، وقد فتح الإسلام باب الحوار بين الناس جميعا ؛ وصولا للهداية والحق ، بلا حرج أو قيود ، لكن ينبغي أن يكون الحوار بعيدًا عن الطعن في الآخرين ، أو السخرية منهم ،أو احتقارهم ، قال تعالى : {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ، ويقول سبحانه : {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..}، ويقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ) ، فينبغي أن يكون الحوار بالحسنى ، قائم على أسس من العلم ، والموضوعية ، ورعاية مقتضى الحال .

منها : **التثبت من الأخبار والتأني قبل نقلها** ، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (التَّأَنِّي مِنَ اللهِ ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ) ، وقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ) ، ومنها : **عدم ترديد الشائعة ، أو الخوض فيها** ؛ لأن في ترديدها إسهام في ترويجها ونشرها ، فالشائعات تزداد انتشارًا إذا وُجِدَتْ ألسنة ترددها ، وآذانٌ تصغي إليها ، ونفوس تتقبلها وتصدقها ، قال تعالى : {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ}، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) .

ومن الآداب العامة التي جاء بها الإسلام : **خفض الصوت**؛ ومعناه ألَّا يرفع الإنسان صوته عن القدر المعتاد خاصَّة في حضور من هو أعلى منه مكانة . وقد ورد في وصايا لقمان الحكيم في قوله تعالى: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) [لقمان: ١٩]. وقد أثنى الله على الذين يغضون من أصواتهم وبخاصة في حضرته (صلى الله عليه وسلم) فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) [الحجرات: ٣].

ومنها: **إرشاد الضال** : بمعنى هدايته إياه عن طريق الوصف ، أو بإرسال الدليل معه ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) {إياكم والجلوس على الطرقات فقالوا: يا

رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها . قال: فأما إذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حقه ؟ قال: غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، و إرشاد الضال).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام: هناك آداب عامة أخرى من الأهمية بمكان ينبغي أن يتحلى بها المسلم ، **منها**: **إغاثة الملهوف**: فقد عدها الإسلام من أكرم الأعمال وأجلِّ القربات ، فعن أبي ذرٍ رضي الله تعالى عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ليس مِن نفسِ ابنِ آدَمَ إلَّا عليها صدقةٌ في كلِّ يومٍ طلَعَت فيه الشَّمسُ، قيل: يا رسولَ اللهِ ومِن أينَ لنا صدقةٌ نتصدَّقُ بها؟ فقال: إنَّ أبوابَ الخيرِ لكثيرةٌ: التَّسبيحُ والتَّحميدُ والتَّكبيرُ والتَّهليلُ والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عنِ المنكَرِ ، وتُميطُ الأذى عن الطَّريقِ ، وتُسمِعُ الأصَمَّ ، وتَهدي الأعمى ، وتدُلُّ المستدِلَّ على حاجتِه وتسعى بشدَّةِ ساقَيْكَ مع اللَّهفانِ المستغيثِ وتحمِلُ بشدَّةِ ذراعَيْكَ مع الضَّعيفِ فهذا كلُّه صدقةٌ منك على نفسِك) (صحيح ابن حبان).

ومنها: **إعانة الضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة** ، حيث إن التكامل الاجتماعي مصلحة للغني قبل الفقير من أجل إحداث التوازن في الحياة، يقول الإمام علي (رضي الله عنه): " فَرَضَ الله فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلا لشحِّ غَنِيٍّ وَاللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِك ". وهذه الرعاية تعد إضافة كبيرة للرصيد الوطني أن العناية بهم حقٌ وواجبٌ على المجتمع ، فالله تعالى قريبٌ من المنكسرة قلوبهم، رحيم بمن يرحم عباده، لا يحقر شيئًا من المعروف ولو كلمةً طيبة؛ قال (صلى الله

عليه وسلم): (لا تحقرَنَّ منَ المعروف شيئًا، ولو أنْ تلْقى أخاك بوجْه طلق) ، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (وهل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم؟!) ، فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

ومنها: **توقير الكبير** ، بإجلالِه والرِّفقِ به وعَدمِ التّطاوُل عليه ، فيراعيَ كِبَرَه وسابِقَتَه في الإسلام ، ويعرِف له قدرَه ومكانته، والكبيرُ مأمورٌ برحمةِ الصِّغار، والعطفِ عليهم، والرِّفق بهم ، يقول صلى الله عليه وسلم: (مَا مِن مسلمٍ يكرِم ذا الشَّيبةِ؛ إلاَّ قيَّض الله له من يكرِمه في سِنِّه) ، وهو من مظاهر عظمة الإسلام ورحمته وسماحته وعدله وإنصافه ، فجعل النبي (صلى الله عليه وسلم) التأدب مع ذي الشيبة ، وحامل القرآن ، والحاكم العادل صورة من صور إجلال الحق سبحانه وتعالى، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ) ويقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَ عَنْ الْمُنْكَرِ) .

على أن الفهم الصحيح لسماحة الإسلام لا يشترط أن يكون ذو الشيبة مسلمًا ، فقد ورد أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تَصَدَّقَ صَدَقَةً عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَهِيَ تُجْرَى عَلَيْهِمْ ، وهذا سيدنا عمر بن عبد العزيز ، يكتب إلى عامله في البصرة ، قائلا : وانظر من قِبَلك من أهل الذمة قد كبرت سنه ، وضعفت قوته ، وولت عنه المكاسب ، فادفع له من بيت مال المسلمين ما يصلحه .

ومن حق المجتمع على أبنائه أن يراعوا مصالحه العامة ، ولو أخذنا مثالًا موضوع الزيادة السكانية فإننا نؤكد على أمرين : الأول : أن البعض ينظر فقط إلى حال نفسه

إذا كان قادرًا غنيًا ، فالقدرة ليست هي القدرة المادية فقط إنما هي القدرة المادية والتربوية وما يشمل كل جوانب العناية والرعاية ، وليست القدرة الفردية فقط ، إنما هو أمر يتجاوز قدرات الأفراد إلى إمكانات الدول في توفير الخدمات التي لا يمكن أن يوفرها آحاد الأفراد بأنفسهم لأنفسهم ، ومن هنا كان حال وإمكانات الدول أحد أهم العوامل التي يجب أن توضع في الحسبان في كل جوانب العملية السكانية ، فما استحق أن يولد من عاش لنفسه . فالزيادة السكانية غير المنضبطة لا ينعكس أثرها على الفرد أو الأسرة فحسب ، إنما قد تشكل ضررًا بالغا للدول التي لا تأخذ بأسباب العلم في معالجة قضاياها السكانية ، وأن السعة والضيق في هذه القضية لا تقاس بمقاييس الأفراد بمعزل عن أحوال الدول وإمكاناتها العامة.

ثانيًا: أن القلة القوية خير من الكثرة الضعيفة الهزيلة ، التي عبر عنها نبينا (صلى الله عليه وسلم) أنها غثاء كغثاء السيل ، لأن الظروف الاستثنائية التي تمر بها بعض الدول لا تمكنها من توفير المقومات الأساسية من الصحة والتعليم والبنى التحتية في حالة الكثرة غير المنضبطة، وبما يؤدي إلى أن تكون كثرة كغثاء السيل ، فإن أي عاقل يدرك أنه إذا تعارض الكيف والكم فإن العبرة والمباهاة الحقيقية تكون بالكيف لا بالكم ، وهنا تكون القلة القوية خيرًا ألف مرة ومرة من الكثرة الضعيفة .

وذلك لأن الكثرة التي تورث الضعف ، أو الجهل ، أو التخلف عن ركب الحضارة ، والتي تكون عبئًا ثقيلا لا تحتمله ولا يمكن أن تحتمله أو تفي بمتطلباته موارد الدولة وإمكاناتها ، فهي الكثرة التي وصفها نبينا (صلى الله عليه وسلم) بأنها كثرة كغثاء السيل ، لا غناء منها ولا نفع فيها ، فهي كثرة تضر ولا تنفع.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها ، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، واجعلنا من عبادك المخلصين .